حياة الاموات وصوت الاحياء

كتبت في المجلد الثاني من الحسناء مقالتين في وجوب تعليم الجنسين بلا استثناء لان كل من الرجل والمرأة مؤثر في الاخر وعلى ترقيهما يتوقف ترقي البلاد كما هو الحال في انكلترا واميركا واليابان . وقد كتب ايضاً كثير من الكتاب والكاتبات في هذا الموضوع ووفوه حقه حتى اضحى تكرار الخوض فيه من قبيل وصف العسل بالحلاوة والصبر بالمرارة او الثلج بالبرودة والنار بالحرارة

وبما انني من المحجمات اللواتي لم يتعودن الكتابة في الجرائد في اي موضوع كان فقد نظر طالعو كتاباتي من الادباء الى موضوعي المهم (مع علمهم بقصوري فيه) بعين الرضى والاستحسان تلطفاً منهم وتشجيعاً لجنسنا في هذا العصر

ولقد ساءني واذهلني ما علمته نقلاً من ان بعض الذين أسدل عليهم الجهل حجابه من رجال ونساء يحسبون الجهل افضل للمحجبات من العلم وان بكتابتهن في الجرائد شذوذاً عن الدين وعن سواء السبيل متوهمين وزاعمين انه لم يسبقنا الى ذلك متقدمات في العصور الغابرة وان الاوائل لم يتركوا شيئاً للاواخر . لذلك أورد لاولئك المتعنتين حقائق دامغة يؤيدها العقل والعلم . وهي ان المتعلمة المهذبة الفاضلة توسع في ذهنها قوة احكام الدين فتعمل بموجبها تترفع عن الدنايا وتنجو من المفاسد وتستنير بالايمان والشرف والفضيلة . تحسن ادارة بيتها وتربية اولادها وتبدل شقاء زوجها بسعادة . وتبني لآلها صروح المجد ثابتة الاركان

الم تكن الحركة الادبية التي قام بها رسول المسلمين مرتبطة بترقي شأن المرأة ؟ ولا ترقي الا بالعلم والدين

الم يكن عز العرب في الاندلس فائقاً بنهضة النساء وبثهن الشهامة في صدور الرجال ومناظرتهن لهم بالاعمال الجليلة واقتباس المعارف والاداب ؟

الم تتعلم نساؤنا في صدر الاسلام الفقه والتفسير والشعر وغيره من فنون الادب وتسمع باذنها خطب الخلفاء والعلماء ؟

اذكر بالاختصار بعض من ازدانت تواريخهن بكمالاتهن من شهيرات المسلمات ممن امتزن بالتقوى والحكمة وافدن الناس عظمى الفوائد ليكن قدوة حسنة للاحياء المبتين اريهم بها حياة الاموات

فمنهن عائشة زوجة الرسول ام المؤمنين كانت في عصرها من ائمة العلم والدين وفاطمة الزهراء بنته فاقت بعلومها معاصريها وكانت تخطب في الصحابة والانصار وفاطمة امّ الخير وفاطمة امّ ابرهيم البزداني وسعدونة بنت عصام الحميري اشتهرن بحسن تعليمهن للنساء والرجال علمي الحديث والكلام . وروي ان الامام الشافعي مع جلالة قدره درس الفقه والحديث على اثنتين من العالمات وان احداهن السيدة نفيسة صلى عليه لما مات

وزبيدة زوجة هارون الرشيد كانت تكاتب زوجها اثنا غزواته شعراً وتنشطه على الاعمال الخطيرة وتاتي من المآثر ما يمجد اسمها من ذلك جرّها الماء الى مكة وبنائها مدينة الاسكندرونة بعد ان خربها الرومان

وبوران زوجة المأمون شادت مدارس ومستشفيات للنساء ووقفت اموالاً طائلة عليها

وقطر الندى والدة المكتفي بهرت الناس بانوار معارفها وحسن احكامها وادارتها لملك ابنها المتولي صغيراً وكانت فقيهة عادلة تتصدر المجالس محفوفة بالامراء والعلماء والاعيان

وامّ المقتدر التي انشأت البيمارستان الشهير بعد الهجرة بثلاثمائة سنة كانت تجلس مع القضاة والكبراء وتوقع على الاوراق بخطها

وخيزران زوجة المهدي جعلت ناديها محط رجال العلماء والعظماء وحملت زوجها على ردّ املاك بني أمية لهم بعد ان حجزها عنهم

وامّ البنين زوجة الوليد بن عبد الملك الذي فتح اسبانيا في ايامه ساعدت زوجها على العدل والرأفة بالرعية

وخديجة اخت صلاح الدين انشأت المدارس في جملة اماكن

وتركان خاتون زوجة ملكشاه احسنت ادارة املاكها وتصورت مجالس مشيرها وحاربت واخضعت الثائرين على ابنها السلطان سنجر

وشجرة الدرّ زوجة الملك الصالح نجم الدين ايوب الموافق اسمها مسماها وهي تاسع من تولى السلطنة في مصر من بني ايوب احبطت مساعي لويس التاسع ملك فرنسا الموجهة ضدها وبلغ من امرها ان كانت تكتب على المراسيم بخطها (والدة خليل) وكان الخطباء يدعون لها اللهمّ احفظ الجبهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين ذات الحجاب الجميل والستر الجليل والدة المرحوم (خليل زوجة الملك الصالح نجم الدين ايوب)

ولبيبه خانم زوجة تيمورلنك اشتهرت بالمبرات والقوة واصلاح ما افسده زوجها ودفنت في سمرقند حيث يزار قبرها تبركاً به الى اليوم

ورضية ابنة احد سلاطين الهند اول ملكة في تلك البلاد نصبت مكان ابيها المخلوع على سرير دلهي عملاً بوصية ابيها واخضعت البلاد لسلطتها بحسن اخلاقها وحسن تدبيرها

واسكندرا بكم نوابة بهوبال في الهند ساست بلادها في احوج الاوقات احسن سياسة وتولت قيادة جنودها بنفسها ابناء الثورة الشهيرة وعلمها وفضلها منعتها من التفشي في جميع البلاد وكانت تقابل الوزراء والامراء في قصرها مسفرة الوجه كاميرات اوربا الى ان حجت الى الحجاز فعادت الى الحجاب

وكوهر شاد زوجة شاهروخ ميرزا بن تيمورلنك ساعدت زوجها في احياء معالم العلوم في خراسان وغيرها وجددت بسببها المساجد والمدارس التي خربها المغول

وفي حروب الصليبيين كانت امّ الامير عثمان بن منقذ واخواته يحاربن الافرنج ويطفن بين الجنود يفرقن عليهم الاسلحة ويقوين عزائمهم

وكريمة بنت محمد بن حاتم المروزية التي جاورت بمكة ٤٦٣ للهجرة وقد عاشت فوق المائة سنة ولم تتزوج ، وعائشة بنت احمد القرطبية فريدة زمانها في العلم والفضل ، ومريم بنت ابي يعقوب الانصاري ، وحفصة بنت الحاج الكوفية ، وزينب بنت ابي القاسم ، وشهدة الكاتبة البغدادية ، وفتصل المدينة ، ورقية بنت عبدالله الجلية ، وزينب بنت محمد الدمشقية ورقية بنت العفيف ، وتقيه بنت ابي الفرج وغيرهن ممن فقن اهل عصرهن علما وادابا وفضلاً وشعرا وكمالاً

فيتضح مما تقدم (فضلاً عن الوف غيره من البراهين) فساد ذاك الحسبان المؤسس على الجهل والضلال فتأكد ان لنا من شهيرات النساء المتوفيات مثائل حية حفظها الغربيون وعمموها فيما بينهم فاستفادوا منها ونسيناها نحن فتضررنا وكدنا نيأس من الانتباه اليها لولا بوارق امل بنهضتنا الحديثة

فيا سيداتي واخواتي نصيرات الحق على الباطل بسلاح العلم هل تنكرن الفاضل بين الناس بالمعارف والادب والاعمال ؟ الا ترين اللواتي ذكرناهن آنفا عائشات باسمائهن اجيالاً عديدة والحيات اليوم من حفيداتهن ميتات لتتحرر من رقّ الاوهام ونتقدم الى الامام فان حياة الاموات خير من موت الاحياء

امينة زين الدين